٩٤

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية

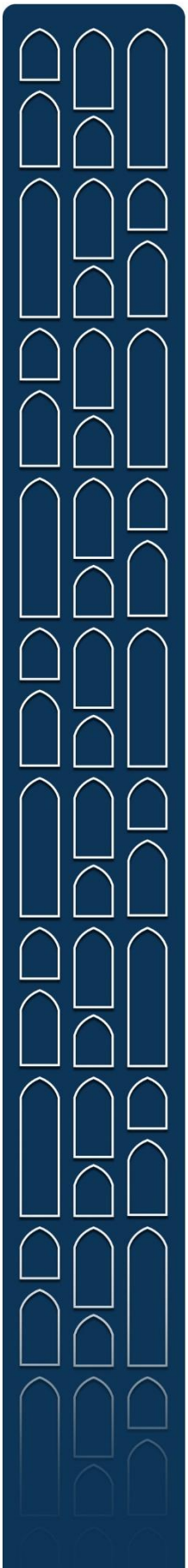

دور الفقهاء في الإصلاح الاجتماعي

السيد علاء الدين الموسوي

1444هـ - 2023م

دورُ الفقهاء في الإصلاح الاجتماعي

تقرير لمحاضرة السيد علاء الدين الموسوي في مركز مدرك للتنمية والدراسات الإسلامية بحضور مجموعة من طلبة العلوم الدينية ونخبة من الشباب المؤمن حيث ذكر تعريفا للإصلاح الاجتماعي بعرف الحوزة العلمية مستعرضا اهم اركانه الاساسية مشيرا لبعض المصاديق المهمة.

دورُ الفقهاء في الإصلاح الاجتماعي

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا وحبيب قلوبنا أبا القاسم محمد صلوات الله وبركاته عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

نحيّ الإخوة الكرام أبناءنا الاعزاء الذين تشرفوا بزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وسعدوا وانتفعوا بلقاء العلماء في الحوزة العلمية وتواجدوا في هذا المكان المبارك الذي هو مجمع الطيبين وأهل العلم والفضلاء نسأل الله لكم دوام التوفيق في هذه البرامج.

عنوانُ كلامي دورُ الفقهاء في الإصلاح الاجتماعي وقبل الدخول في صلب الموضوع لا بد من تعريف كلمة الإصلاح الاجتماعي من منظورنا نحن.

ما هو معنى الإصلاح الاجتماعي؟ وإنما أقول ذلك إنما أقدم تعريف خاص بنا لأن هذه الكلمة استعملها الكثيرون في معاني مختلفة لان الشيوعي والملحد أيضا يدعي أنه قام وتحرك ونشر ثقافة الاصلاح الاجتماعي، وغيره من المذاهب الفكرية المنحرفة أيضا تدعي الإصلاح الاجتماعي بل حتى المتسلطين من الطواغيت يدعون الإصلاح الاجتماعي فهي كلمة فضفاضة وقد تستخدم في مجالات عديدة ومعاني مختلفة. نريد أن نحدد ما هو مقصود وما هو مفهوم الإصلاح الاجتماعي عند الدين وعند أهل الدين والحوزة العلمية؟

هناك ثلاثة محاور للإصلاح في المجتمع:

المحور الأول: هو تثبيت الارتباط بين المجتمع وبين خالقه من خلال عقائد الدين الحق، توثيق الارتباط بين الناس وبين دينها الحق الذي هو الإسلام من نافذة أهل البيت عليه السلام ومن طريقهم؛ لأن أهل البيت عليهم السلام هو الطريق الحصري لمعرفة الإسلام والطريق الحصري لفهم القرآن والطريق الحصري للسنة الصحيحة النبوية. هذا هو المحور الأول في الإصلاح الاجتماعي أن تربط الناس وتُوثق علاقتهم بدينهم الحق وبأئمة الدين عليهم السلام.

المحور الثاني: أن تُؤكد على التقيُّد بأحكام الدين، أن تُربّي الناس على التقيُّد بأحكام ذلك الدين الذي اقتنعوا به في مرحلة العقيدة، اقتنعوا بالله عز وجل، اقتنعوا بتوحيده، اقتنعوا بنبوة نبيه، اقتنعوا بإمامة أمير المؤمنين والأئمة الأطهار عليهم السلام. هذه مرحلة أساسية مهمة جداً بعدها يبغي أن تُربّي الناس على التقيُّد بأحكام هذا الدين الفروع الفقهية، كالتقيد بالصلاة وأحكامها والعبادات الأخرى وأحكامها والتقيد بالمحرمات والواجبات وغير ذلك من التفاصيل الفقهية.

المجتمع الذي يخلو من هذه التفاصيل مجتمع أعرابي وهذا التعبير استخدمه الإمام الصادق عليه السلام في الرواية: (عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعرابا فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزك له عملا)[1]. الاعرابي في تعريف الإمام الصادق عليه السلام هو الجاهل بأحكام الدين الذي لا يتفقه في الدين. قد تسألني لا وقت لنا لنتفقه في الدين كطلبة الحوزة نأتي الى النجف وندرس، أنا طالب وذاك كاسب. المراد من قول الإمام عليه السلام لا أن تكون فقيه، المراد أن تتفقّه في دينك في ما يرجع إلى شؤونك في مجال عملك حتى لا ترتطم بالربا والمحرمات، أنت طالب ينبغي أن تتفقه في مجال عملك مثلا طالب طب عليك أن تسأل عن الاحكام الطبية، وهكذا كل المجالات وكل الحقول هناك أحكام تخصها ينبغي أن تتعلمها أنت، لا أقول لك تعلم كل الفقه لأن أنت عندك عمل ولست متخصصا في الفقه والأصول في الحوزة العلمية أنت طالب عندك مسارك العلمي الخاص الأكاديمي بارك الله بيك لكن ينبغي في ما يرتبط بمجالك أن تتعلم أحكامك الشرعية. هذه الأمور الإنسان مكلف بها ينبغي أن يتعلمها وقد ذكر ذلك في الرسائل العملية أنه يجب على الإنسان أن يتعلم الأحكام المرتبطة بالعبادة حتى يؤديها بشكل صحيح.

فالمجتمع الذي يهمل فقهيا هو مجتمع أعرابي والآية الكريمة تقول: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]، والمقصود ليس

[1]. الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ - الصفحة ٣١
[2]. سورة التوبة: ٩٧

عشيرة معينة ولا أولئك الساكنين في الصحراء ولا الساكنين في المدينة، لو فرض وجود قرية في قلب الصحراء متفقهة في الدين هؤلاء ليسوا أعراب ولو فرض وجود قرية في قلب المدينة لا تفقه شيء من الدين فهؤلاء أعراب. فنفهم جيداً منطق الامام عليه السلام في التعامل مع المصطلحات.

فالركن الثاني في إصلاح المجتمع أن تخرجه من الظلمات إلى النور من كونه أعرابياً جاهلاً بأحكام الدين إلى كونه متفقهاً في دينه واعياً لأحكام دينه هذه قضية مهمة جداً.

الركن الثالث: هو حفظ نظام المجتمع أو ما يعبر عنه الفقهاء بحفظ النظم، حفظ النظام قضية يوجبها الفقهاء يجمعون على وجوب حفظ نظام المجتمع، يعني أي شيء يهدد النظام الاجتماعي استقرار الناس تجارة الناس معايش الناس راحة الناس أي شيء يهدد هذه الأمور بحيث يهدد النظام الاجتماعي حرام ويجب الوقوف في وجهه. أي شيء من شأنه أن يحفظ النظام الاجتماعي يقولون واجب ولذلك الفقهاء حتى الذين لا يقولون بولاية الفقيه هم أنفسهم يقولون بلزوم الحفظ للنظم أو للنظام من باب الحسبة التي هي الأمور التي نعلم أن الله عز وجل لا يرضى بتركها فعلى المؤمنين أن يتصدوا لها وعلى رأس المؤمنين الفقهاء والعلماء هذا هو الركن الثالث.

إذن حينما نتحدث عن الإصلاح الاجتماعي نقصد هذه الأمور الثلاثة أولا حفظ عقائد الناس تشييد العقائد الصحيحة في نفوس الناس وتثبيتها في نفوسهم. ثانيا تعليم الناس الفقه وتدريبهم وتربيتهم على التقيد بأحكام الفقه. ثالثا حفظ النظام الاجتماعي.

إذا اتضح معنى الإصلاح الاجتماعي من النظرة الدينية الحوزوية نقول من هم الذين كانوا في مقدمة المصلحين في تاريخ الشيعة؟ الجواب هم الفقهاء سواء كانوا مراجع عظام أو كانوا مراجع محليين أو كانوا فقهاء ليسوا مراجع، هناك بعض الفقهاء لم يتصدوا للمرجعية ولم تحصل لهم مرجعية عامة لكنه مع ذلك موقعهم الاجتماعي كفقهاء أتاح لهم أن يشاركوا في عملية الإصلاح.

المرحلة الأولى: دور الفقهاء في الإصلاح الاجتماعي نستطيع أن نقول هو دور الريادة؛ لأن العلماء حافظوا على عقاد الناس الركن الأول من أركان الاصلاح ولا شيء غير العلماء علماء الدين علماء الحوزة مراجعنا علمائنا فقهائنا هم الذين ثبتوا هذه العقائد بين الناس، تقول لي كيف حافظوا عليها؟ أقول لك بما ورثوه من روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام وبما دوّنوه من الكتب المهمة في هذا المجال من الشيخ الكليني إلى زمننا هذا -الشيخ المفيد الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي وأمثالهم من العظماء كالسيد ابن طاووس الخواجة نصير الدين الطوسي وأمثالهم- إذن الركن الأول واضح لم يقم به أحد سوى علماء الحوز العلمية ومراجع الدين الشيعة ثبتوا الناس على عقائدهم من خلال محاور كثيرة نشاطات كثيرة أولاً الكتب فما دونوه من الكتب وحفظوا لنا هذا التراث بثمن دمائهم، لعلك تستغرب؛ بعض الكتب أُلفت وأصبحت سبباً لقتل هذا العالم وهو يعلم أنه يعرض نفسه للقتل أذكر مثالا واحدا منها: "كتاب احقاب الحق" للشهيد نور الله التستري الذي كان يعيش أيام ممالك المسلمين في الهند وكانت مقسمة الى ممالك، فيها ممالك سنية وفيها ممالك شيعية هذا العالم الجليل كان يعيش في منطقة "أجرى" التي كان يحكمها سلطان سني وكان حول هذا السلطان فقهاء من الحنفية وغير الحنفية وكان هذا الشهيد رحمه الله يعيش التقية الشديدة ويدرس طلابه على فقه المذاهب، بعض الفقهاء حسده لقربه من السلطان لذكائه وقابلياته، فوظف بعض الناس ليراقبه قال له لازم هذا الشيخ واجعله يثق بك لترى ماذا يكتب؟ ثم اطلب منه بعض الملازم التي يكتبها الشيخ، فاطمئن ببعضهم وأعطاه ملزمة من ملازم هذا الكتاب الذي كان يؤلفه وهو من قواصم ظهر المخالفين. أعطيك فكرة أيضا عن كتاب إحقاق الحق مختصرة جدا كتاب جمع فيه الروايات التي تنص على حق أمير المؤمنين عليه السلام فقط وفقط من كتب أهل الخلاف، ولم يأت برواية واحدة من كتبنا، ولذلك سماه إحقاق الحق وهذا الكتاب طبعاً حقق قبل تقريباً ثلاثين سنة أو أكثر في قم على يد المرجع الراحل السيد شهاب الدين المرعشي رحمة الله عليه، أكتشف أمر الشيخ ذهب هذا الرجل الجاسوس بهذا الكراس إلى ذلك العالم الحنفي العالم الحنفي حمل الكراس ووشى به إلى السلطان وحرّضه عليه فأخذ الشيخ على كل حال وقتل قتلة عنيفة جداً وأحرق بدنه. هذا

مثل من أمثلة علمائنا الأعاظم الذين أبقوا لنا التشيع وثبتوا لنا عقائد التشيع بثمن دمائهم وترمّل نسائهم ويتم أبنائهم.

المرحلة الثانية: الأحكام الفقهية، من الذي حفظها؟ نفس الشيء، الفقهاء الذين حفظوا لنا العقائد حفظوا لنا الأحكام في سلة واحدة، تلك الكتب العظيمة الفقهية التي كتبت منذ تلك الأيام الأولى منذ أيام الأئمة الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين بل حتى من أيام أمير المؤمنين هناك كتاب لأبي رافع أقدم من كتب هو أبو رافع كتابه موجود مع الأسف لكنه ضائع لكن يُنص على أن أبا رافع عنده كتاب، وبعده الأصحاب يكتبون وكتبهم كانت عبارة عن روايات يجمعونها مثل كتاب حريز في الصلاة وغيره. حفظوا لنا تلك الروايات وهذا التراث العظيم في الفقه إلى يومنا هذا. إذن المحور الثاني أيضا الرائد فيه والبطل فيه هم الفقهاء ولا أحد غيرهم لأن غيرهم لا يعرف غيرهم غير متخصص وهم أصحاب اختصاص في ذلك: في الركن الأول والثاني العلماء أصحاب اختصاص فلا أحد غيرهم.

المرحلة الثالثة: يمكن أن يقال في موضوع حفظ النظام نعم الفقهاء يشتركون مع بقية الناس في هذا الواجب إلا أنهم مع ذلك لهم موقع الريادة والقيادة والتوجيه كما يذكر عدة من الفقهاء أن الذي ينبغي أن يتصدى في موضوع الحسبة وفي موضوع إصلاح المجتمع وحفظ النظام الفقهاء. ينبغي للفقيه أن يتصدى؛ لأنه أعلم الناس ونرى أيضاً أمثلة عديدة لتصدي الفقهاء لحفظ النظام العام في المجتمعات الإسلامية وبتعبير آخر متى ما شعر الفقيه المرجع بخطر يهدد حياة الناس الاقتصادية أو حياتهم الاجتماعية أو وضعهم الأخلاقي أو وضعهم السياسي أو كرامة المجتمع؟ يبدأ يتصدّى، قد تجده ساكتا مدة مديدة من الزمن، لا يتكلم؛ لأنه لا يرى خطر على المجتمع، يرى الأمور سارية، لكن إذا شعر بخطر معين يتصدى.

نقتطف من تاريخنا المتأخر بعض الأمثلة: المرزا المجدد الشيرازي رحمه الله الذي انتقل إلى سامراء وعاش فيها إلى أن توفي كان مرجعا عاماً لشيعة العالم وكانت كل إيران ترجع إليه، حينما شعر على خطر اقتصادي سياسي على إيران بسبب المعاهدة التي أمضاها شاه إيران

في زمانه مع المستعمر البريطاني وهي معاهدة التنباك الذي كان يزرع في إيران، رأى في هذه المعاهدة استعباد للناس وتهديد لحياة الناس واقتصادهم، فأفتى بحرمة تدخين التنباك، وطبعاً هذا كان قاصم للظهر والمعاهدة كلها ألغيت. لاحظ في الحكم الأولي لا توجد حرمة في التدخين بشكل أولي فكيف حرمه السيد؟ إنما حرمه حفظا لمصالحه المجتمع الشيعي في إيران؛ لأنه رأى خطر في هذه المعاهدة التي بموجبها إيران تصدر كل ما عندها من تنباك إلى هذه الدولة الأجنبية يعني الدولة الأجنبية احتكرت كل محصول إيران في التنباك وهي تصنعه وترجعه بيعا على الإيرانيين فاستغلال باستغلال واستنزاف، وقف الميرزا وحرم تدخين التنباك يعني أغلق السوق، سوق التنباك أغلق تماماً وأكثر من هذا قصر الشاه ناصر الدين شاه المعروف في قصره كسرت الأواني وكان يسمونها غليون كانوا يشربون بها اللي نسميها نرجيلة، نساء القصر كسروا لأنهم سمعوا الفتوى وهم مقلدين للسيد الشيرازي. فالسلطان أسقط ما في يده وفضل أن يلغي تلك المعاهدة وسقطت بكلمتين، بنص صدر من المرجع. هذه حالة وحالة أخرى من أمثلة تدخل الفقهاء:

حينما دخل الإنجليز إلى العراق وكان على رأس المحرضين للناس خرج السيد محمد سعيد الحبوبي رحمة الله عليه ومعه السيد محسن الحكيم كان أيضاً من تلاميذه خرجوا بنفسهم للقتال ركبوا على الفرسان وبيدهم سلاح وقاتلوا وحرّضوا الناس وجيشوا الناس.

وكذلك ما جرى في أيام الانتفاضة في سنة ١٩٩١ بعد أن رجع الجيش العراقي خائبا من الكويت بعد الغزو وحدثت الانتفاضة وسقطت كثير من المحافظات ومنها محافظة النجف سقطت في أيدي الناس وكان الوضع في النجف مربك جدا حيث الجثث في الشوارع، المهم ينبغي أن يحفظ بلد أمير المؤمنين عليه السلام، يعيش فيه أكثر من مليون إنسان، يحتاجون للماء والكهرباء الموتى لا بد أن يدفنوا، فقام السيد الخوئي رحمة الله عليه وموقفه معروف في عدم التصدي لهذه الأمور العامة لكن في تلك الفترة حيث أصبح هناك فراغ يعني لا توجد حكومة منظمة فشكل السيد لجنة من العلماء الأفاضل وكلّفهم بإدارة شؤون النجف وتنظيم الأمور على أقل هؤلاء القتلى يغسّلون يكفّنون يدفنون، كذلك مخازن الحبوب لابد ان

تحفظ حتى لا تنهب؛ لأن الناس يراد لهم خبز يراد لهم طعام وتأمين الكهرباء فهذه اللجنة أصبحت مسؤولة عن حفظ النظام وحفظ النظم في النجف. السيد لماذا تصدّى لذلك؟ من باب حفظ هذا الركن في المجتمع. هذا هو الذي حفظ النجف إلى أن حدثت كارثة اقتحام النجف من قبل أزلام النظام جيش وصواريخ وحصلت الكوارث الكثيرة واعتقلوا من الشباب والناس والعلماء أيضا حتى اولئك العلماء الذين شاركوا في هذه اللجنة دفعوا ضريبة لمجرد أنهم حاولوا حفظ النظم حفظ النظام اخذوا وأودعوا في السجون ولم يرجعوا إلى أهاليهم إلى اليوم. يعني أصبحوا من ضحايا المقابر الجماعية.

مثل آخر في حياتنا في سنة ٢٠٠٣ حينما تغير النظام واتجهت أنظار الناس الى المرجعية، المحتل الأمريكي كان يصر على أنه لا بد من استمرار وضع الاحتلال وحكومة الاحتلال ينبغي أن تستمر، السيد أصر على أنه لا بد من دستور يكتب بيد العراقيين وحكومة تتشكل على يد العراقيين، تشكلت الجمعية الوطنية في حينها وافرزت لجنة لكتابة الدستور وأصر السيد أن الذين يكتبون الدستور يجب أن يكونوا عراقيين، الأمريكان قالوا لدينا دستور مكتوب وجاهز رفض سماحة السيد رفضا نهائيا أي شيء مكتوب بيد أجنبية وقال العراقيون يكتبون دستورهم بأيديهم وتم التصويت على الدستور وسارت عجلة الدولة العراقية الحديثة. الدولة العراقية الحديثة التي حصلت بعد ٢٠٠٣ تدين للمرجعية العليا تدين لها بوضعها على الطريق الصحيح وأن الدستور كتب بيد العراقيين لا بيد الأجانب وتدين أيضا للمرجعية العليا بكونها صمام الأمان للجميع أنها أمنت الجميع ودعت الجميع إلى الجلوس معا سويا، وخلصت المجتمع من الحروب الطاحنة التي كان يمكن أن تحصل خصوصا بعد اعتداء سامراء لمرتين.

المثال الاخير في هذه الفترة ما حصل في عام ٢٠١٤ من هجوم داعش الغادر على المحافظات الغربية والشمالية وتعرض العراق كله لخطر داعش بل تعرضت بغداد بالخصوص لخطر السقوط بيد هؤلاء المخربين وكان الوضع كما سمعنا من المسؤولين وكما سألنا بشكل مباشر كانوا يقولون إنه الوضع غير مأمون أبداً يمكن في ليلة وضحاها ترى داعش في أزقة بغداد.

تصدى سماحة السيد أطال الله في بقائه وحفظه وجزاه الله عنا خير الجزاء تصدّى بتلك الكلمة التي قلبت الموازين على رأس داعش قلبت الامور تماما وأوجب دفاعا كفائي أؤكد تعبير خاطئ بعضهم يردد أو جب فتوى الجهاد يسموها فتوى الجهاد هي ليست فتوى الجهاد هذا شيء ثاني وأكبر بل فتوى دفاع كفائي يعني الذي يستطيع ان يدافع فليخرج يدافع، انقلبت الأمور وتطوع مئات الألاف من الشباب المضحين من أبناء المواكب الحسينية من أبناء هذه الطائفة المحققة الطائفة الوفية الطائفة التي لا تفكر بنفسها فقط بل تفكر بكل البلد الطائفة التي تعتبر كل أبناء العراق إخوة لهم وأحبة هكذا رباهم السيد المرجعية ربتهم على هذه الروحية واندفعوا وهزموا داعش في ثلاث سنين فقط. أنا أؤكد على الرقم؛ لأن الأمريكان والتحالف الذين معهم كانوا يرددون ويصرحون بما من مقاماتهم الرسمية أن الحرب مع داعش في العراق تطول ثلاثين سنة كانوا يغذون الأذهان العراقية بهذا أنه ثلاثين سنة نحتاج إلى أن نقضي على داعش، لكن شبابنا والله الحمد ببركة الفتوى قضوا على هذه الجرثومة المخربة في ثلاث سنين والفضل لله عز وجل ولهذا السيد الذي حسم الأمر بفتوى وحفظ العراق من السقوط في يد هؤلاء الوحوش، هذا حفظ النظم فقد حفظ الجيش حفظ القوات المسلحة أعطاهم جميعا جرعة عالية من الشجاعة صدر إليهم أمدهم بمئات الألاف من الشباب العاديين غير العسكريين لان الحشد ناس عاديين بين مزارع وبين عامل وبين موظف وبين طالب تركوا حياتهم خلف ظهورهم وذهبوا يقاتلون في سبيل الله بعضهم عاد معوقاً بعضهم لم يعد وأصبح شهيداً وبعضهم الحمد لله سالم إلى الآن وهم صمام أمام العراق.

نرجع إلى موضوعنا من هو الذي حفظ العراق من حفظ النظم في العراق المرجعية والعلماء وهكذا كلما رجعت تاريخ المنطقة تاريخ البلاد بلادنا العراق وإيران وأمثالهما من البلاد لبنان أيضا سوريا تجد على رأس كل تجربة إصلاحية حقيقية الإصلاح الذي بيناه ليس الإصلاح المدعى الإصلاح الذي بيناه بهذا المعنى تجد على رأس كل تجربة فقيه من فقهاء أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين نسأل الله تبارك وتعالى أن يحفظ علماءنا ومراجعنا ويرحم

الماضين منهم ويجعلهم ذخراً وكهفاً للناس وأن يثبتنا على طريقهم وأن يعجل في فرج مولانا صلوات الله وسلامه عليه ويشفعه في قضاء حوائجنا وتيسير أمورنا ببركة الصلاة على محمد وآله الطيبين.

تقرير محاضرة السيد علاء الموسوي